

فصاحة الأحاديث النبوية بين اللغويين والنحاة

The eloquence of prophetic discourse between linguists and
nativism

اعداد

نوره ناهر ضيف الله الحربي

أستاذ مساعد، لغة عربية (لغويات)

Doi: 10.33850/ajahs.2020.103215

القبول : ٢٠٢٠/٦/١٥

الاستلام : ٢٨ / ٥ / ٢٠٢٠

المستخلص :

تبرز أهمية هذا البحث في أنه يدرس مصدر هام من مصادر اللغة العربية وهو الحديث النبوي، كما يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على ما يتضمنه الحديث النبوي من جمال فني وبلاغي ظهر في كثير من المؤلفات واقتبس منه عدد من الشعراء، وعلى الرغم من ذلك البعد الدلالي والبلاغي؛ لم يعتمد كثير من النحاة شاهدة نحويًا. ثم اتجه البحث إلى مناقشة موقف النحاة من الاستشهاد به في استنباط قواعد اللغة، وتحليل آرائهم تجاه القضية. ومن أهم نتائج البحث: إن الحديث النبوي مادة لغوية ثرية، ومنهل صافٍ لأهل اللغة القدامى والمحدثين فيستشهدون به ويدرسون بيانه، أما النحاة فقد انقسموا إلى ثلاث فئات، منهم من استشهد به ومنهم من توسط في الاستشهاد ومنهم منع الاستشهاد بالحديث.

الكلمات المفتاحية: مصادر اللغة ، الفصاحة، البلاغة ، الاستشهاد النحوي، الاقتباس الشعري.

Abstract:

The importance of this research is reflected in studying one of the main Arabic sources, namely the holy Hadith. The research aims at highlighting the rhetorical and aesthetical expressions included in Hadith. The rhetorical expression is characterized in many books and in the quotations of some poets. However, it is not adopted as a grammatical evidence by many of syntacticians. Then, the research discussed the syntacticians' situation related to citation to device the grammar, as well as analyzing their opinions towards the issue. Among the most important results of

the research is: Al- Hadith is considered a rich linguistic material and a clear source for the ancient philologists and modernists, as they cite and study it. On the other hand, the syntacticians are divided in to 3 categories: those who use it in citations, the others whom are moderate in citation, and the last group who refused it at all.

Key words: Language resources, Eloquence, grammarian citation, poetic quotation.

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام أفصح الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه الطيبين.

فإن عرض الدعوة والقضايا الإيمانية ، وتوضيح التشريعات الربانية ، تكاليف متعددة ومهمة شاقة ، تتطلب بيانا واضحا وعرضا بيّنا ، لذا كان لزاما أن يكون الداعية في غاية البيان ، وقمة الفصاحة ، وله امتيازات على كل الفصحاء حتى يظهر فضله عليهم ، ويعرف مكانه بينهم .

وقد امتن الله جل وعلا -على نبيه محمد -عليه الصلاة والسلام- بنزول الكتاب والحكمة عليه ، وعلمه ما لم يكن يعلم ، وفضله على خلقه أجمعين وأيده بالمعجزات الكونية والقولية ، وقد أخبر القرآن الكريم أن الغاية التي تأتي كل الغايات بعدها هي البيان والتبيين ، قال جل وعلا : (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه) ^١ . والحديث النبوي المصدر الثاني من مصادر اللغة، وقد حظي باهتمام علماء اللغة قديما وحديثا ، كونه مادة خصبة ، وميدان واسع للدراسات اللغوية. وحيث إن النصوص المنقولة -الحديث النبوي أحدها- تمثل مصدرا مهما لتقعيد اللغة واستنباط قواعدها، وحجة في إثبات صحة قاعدة وتقريرها، وأوردها وإظهار ضعفها، فدراستها واستنباط القواعد منها يعد ركنا مهما من أركان الدرس النحوي . إلا أن نظرة النحاة للحديث النبوي قد خالطها شيء من الريبة والشك، الأمر الذي دفع علماء العربية إلى الانقسام حول الاستشهاد به. وفي هذا البحث سنعرض لبعض النماذج الدالة على فصاحته وبلاغته ، ونبرز من خلالها قوة بيانه و عذوبة منطقه ، ونقاء فطرته ، منها ما ابتدعه ولم يسبقه إليها أحد ، ومنها ما نقل دلالاته ، كما يظهر بعض دلائل التفوق والبراعة اللغوية التي اختص بها عليه الصلاة والسلام. و تناول البحث أيضا الاستشهاد بالحديث الشريف في النحو العربي، وإلقاء الضوء على موقف النحاة منه، ومناقشة آرائهم حول هذه المسألة. وفي ما نعنيه هنا باللغويين والنحاة، هو ما يحدده

^١ سورة النحل ٦٣

دورهم في دراسة اللغة، فالعلاقة بينهما علاقة أصل وفرع، اللغويون يدرسون اللغة علومها وفنونها، أما النحويون يدرسون ويستنبطون القواعد النحوية من المصادر اللغوية. وقد جرى تقسيم البحث إلى مقدمة وأربعة محاور تتلوا الخاتمة. إشكالية البحث: رغم إجماع علماء اللغة على أن قول النبي -صلى الله عليه وسلم- أفصح العرب قاطبة، إلا أن شواهد لم تتل ما حظيت به غيرها من شواهد اللغة في الاستشهاد النحوي، واستعملوها في الدرس اللغوي والبلاغي في مواضع معاني الألفاظ والدلالة والفنون البيانية. أهم أهداف البحث:

- ١- إلقاء الضوء على مكانة الحديث النبوي في الأدب العربي.
 - ٢- إبراز القيمة الفنية والخصائص البلاغية للفظ النبوي وأثرها على اللغة.
 - ٣- دور الحديث النبوي في بناء القاعدة النحوية وآراء النحاة حوله.
- أهمية البحث: وتظهر في دراسة قضية هامة؛ هي مكانة الاستشهاد بالحديث النبوي في اللغة والنحو.

مفهوم الفصاحة: يكاد يتفق اللغويين والنحاة على أن الفصاحة هي الأساس الذي يحكم به على صحة اللفظ وخطئه، ومعنى الفصاحة في اللغة أصل يدل على الخلوص والنقاء.. وأفصح الرجل: تكلم بالعربية، وفصح: جادت لغته حتى لا يلحن... وقيل الفصاحة: البيان^٢. وإذ نظرنا إلى المادة اللغوية لكلمة " فصاحة" نجدها تدور حول الإبانة والظهور والانتكشاف وغيرها من المعاني التي تدل على الخلوص والنقاء، و في اصطلاح البلاغيين صفة توصف بها الكلمة والكلام والمتكلم، وهي في اللفظ المفرد خلوصه من تنافر الحروف، والغرابة ومخالفة القياس. وفي الكلام خلوصه من ضعف التآليف وتنافر الكلمات والتعقيد مع فصاحته، وفي المتكلم: مَلَكَةٌ يقدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح^٣. تضمنت كتب اللغة والنحو على معايير متعددة للفصاحة هي: أن تكون اللغة شائعة كثيرة الاستعمال خالية من التنافر والتعقيد واللهجات المذمومة، أن توافق القياس الذي وضعه النحاة^٤.

^٢ أبو الحسين أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: محمد عوض، فاطمة أصلان، بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠١، ٨١٩، الجوهري الصحاح مادة فصح، ٣٩١/١.

^٣ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت: دار الكتب العلمية، ٥-٧. حامد صالح الربيعي، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، مكة المكرمة: مركز بحوث اللغة العربية ١٩٩٦، ٤٦٣.

^٤ القزويني، ص ٥٠. محمد الكزاز، الفصاحة في العربية المفاهيم والأصول، د.م: مؤسسة الانتشار، ٢٠٠٩، ٢٨.

المحور الأول : المكانة الأدبية للأحاديث النبوية:

إن أثر دعوة النبي عليه الصلاة والسلام -لا يقف عند توحيد الله، وإصلاح الأخلاق والمجتمع، وإقامة شعائر الدين، بل يمتد هذا الأثر ليشمل إصلاح القول ، وأداء البيان على الوجه السديد ، ولهذا جاءت أحاديث تمدح البيان السديد، وتذم التكلف، وتدعو إلى الاعتدال، وعدم الخروج على الطبع في الكلام، وفي الأداء. فمما جاء في مدح البيان وذم التكلف قوله عليه الصلاة والسلام : (إن من البيان لسحرا)°. كما مدح الاعتدال في الكلام ، وذم التكلف والتصنع ، في قوله -عليه الصلاة والسلام : (إن من الشعر لحكمة)¹ ، وفي هذ رد لمن يزعم أن الشعر كله مذموم ، ولذلك مدح النبي -عليه الصلاة والسلام - قول لبيد حيث قال:(أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل)².

فكان لعناية النبي -عليه الصلاة والسلام - بالبيان وإصلاحه أكبر الأثر في اللغة، والبلاغة، والأدب، فالضوابط التي ذكرها البلاغيون في بلاغة الكلام، وفي الإيجاز، وغير ذلك من مباحث البلاغة إنما ترجع أصولها إلى البيان النبوي بعد القرآن الكريم؛ ولهذا عكف العلماء على هذا البيان المبدع يدرسونه، ويحفظونه ويشروحونه، ويستنبطون منه الأفكار ويستخلصون منه المعاني والأسرار، ويستشهدون به لمسائل البلاغة كما في علم المعاني، والبيان، والبديع، ويحتجون به في اللغة³.

يقول شوقي ضيف عن أثر الحديث في اللغة والأدب : " فإن للحديث هو الآخر أثرا فيهما -اللغة والأدب- و إن كان لا يبلغ أثر القرآن لأنه دونه في البلاغة و إن كان قائله أفصح العرب قاطية، و يمكن أن نلاحظ أثره في أنه عاون القرآن في انتشار العربية و في حفظها و بقائها، وكان له أثر في توسيع المادة اللغوية بما أشاع من ألفاظ دينية و فقهية لم تكن تستخدم من قبل هذا الاستخدام الخاص، وقد أقبل العلماء في مختلف الأمصار الإسلامية و على تعاقب العصور يدرسونه و يحفظونه و يشرحونه و يستنبطون منه"⁴.

كما أشار إلى القيمة اللغوية للحديث النبوي بقوله : "... و حقاً أن كثرته رويت بالمعنى، ولكن هذا لا يقلل من قيمته اللغوية إذا كانت ألفاظه عربية سليمة، وبالتالي هي كنز ثمين، و قد استمد المتأدبون من هذا الكنز في رسائلهم و أشعارهم ما أضاف إليها - على مر العصور - رونقاً و طلاوة، وما يزال ذلك شأنهم إلى اليوم، وقد

° البخاري ، صحيح البخاري ، ط ١ ، الرياض : فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية ، ٢٠٠١م ، ٩٤/٩

٦ صحيح البخاري ٩٦/٩

٧ صحيح البخاري ١٠/٥٥٣

٨ الرافعي ، إجاز القرآن و البلاغة النبوية ، ط ٩ ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٧٣م ، ص ٣١٥ .

٩ تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، ط ١١ ، دار المعارف ، ١٩٦٣م ، ص ٤٠ .

جاءت فيه أحرف غريبة من لغات القبائل إذ كان الرسول يخاطب بعض وفود العرب بلغاتهم." ^{١٠}

وعن أثر الحديث النبوي في الكتابة والتأليف يقول: "... و من تأثيره أيضاً نشأة الكتابة التاريخية لا في السيرة فحسب ... فالحديث هو الذى فتح باب الكتابة التاريخية، وهياً لظهور كتب الطبقات في كل فن. و هذا غير ما نشأ عنه من علوم الحديث، وغير مشاركته في علم التفسير والفقہ مما بعث على نهضة علمية رائعة" ^{١١}.

أما عن أثر الحديث النبوي في البلاغة فيقول محمود السامرائي: "الحديث النبوي هو المنبع الثاني للفكر الديني، وقد أثر هذا المنبع في كلا الاتجاهين البلاغيين: العلمي والأدبي، فهو يؤثر في البلاغة باعتباره المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، وباعتبار بلاغته الرفيعة... فالنصوص القرآنية والنبوية كانت سبباً في نشأة علوم كثيرة تعد من المنابع الفكرية الدينية التي أثرت في الاتجاه العلمي للبلاغة كالدراسات القرآنية ودراسات أصول الفقہ، ودراسات العقائد" ^{١٢}.

هذا بعض ما ذكره الأدباء والباحثون حول أثر البيان النبوي في اللغة والبلاغة والأدب، وهو غيض من فيض، ومن يتصفح فيما كتبه اللغويون والبلاغيون والأدباء من مؤلفات يرى الاستشهاد في اللغة بالأحاديث النبوية، ويرى الاستشهاد بالحديث في القواعد والضوابط البلاغية، ويرى التأثير بالأسلوب النبوي في الكتابة عند طائفة كبيرة من الأدباء فيما يتعلق بالإيجاز، والبعد عن التكلف، وانتقاء الألفاظ، وشرف المعنى واستقامته.

وإذا تحدثنا عن الهبة من الله -عز وجل - نجد أن النبي مُنح فصاحة القول وبلاغته، وهو ما عبر عنه بقوله: " أعطيتُ جوامع الكلم "، وهو البيان الجامع الذي جعله يقف على أسرار اللغة وغوامضها، وإدراكه لحقائقها ودقائقها.

يقول عباس العقاد عن جوامع الكلم: " ألا إن أقوى الإبلاغ في كلام النبي -صلى الله عليه وسلم - هو اجتماع المعاني الكبار في الكلمات القصار، بل اجتماع العلوم الوافية في بضع كلمات، وقد يبسطها الشارحون في مجلدات " ^{١٣}. وأود العقاد أمثلة مؤيدة لبلاغة النبي -عليه الصلاة والسلام - فقال: " ومن أمثلته: علم السياسة الذي اجتمع كله في قوله: " كيفما تكونوا يول عليكم ".

ويقول متعجباً من جمال القول وبلاغة البيان: " فأبي قاعدة من القواعد الأصيلة في سياسة الأمم لا تنطوي بين هذه الكلمات ؟ " ^{١٤}.

^{١٠} السابق، ص ٤٠.

^{١١} تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ص ٤١.

^{١٢} تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية، ط الكتب الإسلامي، ١٢-١٤.

^{١٣} عباس العقاد، عبقرية محمد، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠١٣م، ص ٧٨.

^{١٤} السابق، ص ٧٩.

ثم يعلق على بيان النبي-عليه الصلاة والسلام-: " وكان بليغا ميلغا على أسلس ما تكون بلاغة الكرامة والكفاية ، وكان بلسانه وفواده من المرسلين ، بل قدوة المرسلين ^{١٥} "

فكانت فصاحة ألفاظه -صلى الله عليه وسلم- وبلاغتها وجها من وجوه التأييد من الله -عز وجل- التي خصه بها ، وسمات البلاغة النبوية كثيرة ، يقول الجاحظ عن فصاحته -عليه الصلاة والسلام- " ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أقصد لفظاً ، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهبا ، ولا أكرم مطلبا ، ولا أحسن موقعا ، ولا أسهل مخرجا ، ولا أفصح معنى ، ولا أبين فحوى من كلامه -صلى الله عليه وسلم " ^{١٦} .

وهذا الوصف الجامع الدقيق من الجاحظ قد ضم أكثر من سمة من سمات البلاغة والكلام النبوي ، السمة الأولى : قلة الحروف والكلمات وكثرة المعاني ، وهي السمة المعبر عنها بجوامع الكلم . والسمة الثانية : بعد البلاغة النبوية عن الصنعة والتكلف .

وتحدث الجاحظ عن فن آخر في الحديث النبوي ووصفه فقال : " إنه مما لم يسبقه إليه عربي ، ولا شاركه فيه عجمي ، ولم يُدَّع لأحد ، ولا ادَّعاه أحد ، مما صار مستعملا ومثلا سائرا " ^{١٧} .

وينفي الجاحظ أن يكون قد تكلف مدح البيان النبوي بما ليس فيه ، بل يؤكد أن ما ذهب

إليه من وصف للكلام النبوي أنه ناتج عن اعتبارات النقد ومقاييس البلاغة ، حيث قال : " ولعل بعض من لم يتسع في العلم ، ولم يعرف مقادير الكلم ، يظن أننا قد تكلفا له من الامتداح والتشريف ، ومن التزيين والتجويد ، ما ليس عنده ، ولا يبلغه قدره ! كلا والذي حرم التزويد على العلماء ، وقبَّح التكلف عند الحكماء ، وبهرج الكذابين عند الفقهاء ، ما يظن هذا إلا من ضل سعيه " ^{١٨} .

كما تحدث الرافعي عن سمات البلاغة النبوية حديثا مطولا بأسلوبه المتميز ، من ناحيتي اللغة والبيان ، أو من (جهة الصناعتين اللغوية والبيانية) بحسب عبارة الرافعي . والذي يمكن عده سمة ثالثة تضاف إلى ما ذكره الجاحظ ، السمة الأساس للبلاغة النبوية وهي سمة الإبلاغ .

^{١٥} عباس العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٧٩ .

^{١٦} البيان والتبيين : تح : عبد السلام هارون ، ط ٧ ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٩٨م ، ٢ / ١٧-١٨ .

^{١٧} البيان والتبيين ، ١٥/٢ .

^{١٨} السابق ١٨ .

فيقول الرافعي في بيان سمات كلامه - عليه الصلاة والسلام إنك إذا نظرت إلى الكلام النبوي من جهة الصناعة اللغوية: " رأيت مسدّد اللفظ محكم الوضع، جزل التركيب، متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات، فخم الجملة، واضح الصلة بين اللفظ ومعناه، واللفظ وضريبه في التأليف والنسق، ثم لا ترى فيه حرفاً مضطرباً، ولا لفظة مستدعاه لمعناها أو مستكرهه عليه، ولا كلمة غيرها أتم منها أداء للمعنى، وتأتيا لسره في الاستعمال"^{١٩}.

وإذا نظرت إليه من جهة الصناعة البيانية رأيت " حسن المعرض، بين الجملة، واضح التفصيل، ظاهر الحدود، جيد الرصف، متكن المعنى، واسع الحيلة في تصريفه، بديع الإشارة، غريب اللمحة، ناصح البيان، ثم لا ترى فيه إحالة ولا استكراها، ولا ترى اضطراباً ولا خطأ، ولا استعانة من عجز، ولا توسعاً من ضيق، ولا ضعفاً في وجه من الوجوه"^{٢٠}.

ونستطيع أن نقول أن السمة البلاغية التي يتحدث عنها الرافعي هي سمة الكمال، أو سمة التوازن الذي بلغ حد الكمال والإبداع، والذي لم يعهد في غير كلامه - صلى الله عليه وسلم- الذي انطوى على جميع الأسرار والدقائق، الذي كست الكلام النبوي النبوغ والتفرد، وهذا هو سر ما أضافه الرسول - عليه الصلاة والسلام- إلى ميراث اللغة العربية والبيان العربي من المعاني والكلمات.

وقد أشار الرافعي إلى حقيقة لغوية تمثل أكثر كلام النبي - عليه الصلاة والسلام- أو قاعدته وهي ندرته أو كما قال الرافعي غرابته، من تركيب وضعه في البيان. والذي لم يحدث بليغ في العربية منه ما أحدثه النبي - صلى الله عليه وسلم^{٢١}.

وعن فصاحته - عليه الصلاة والسلام يقول العقاد: " فالفصاحة صفة تجتمع بالكلام، ولموضوع الكلام، فيكون الكلام فصيحاً وهيئة النطق به غير فصيحة، أو يكون الكلام والنطق به فصيحين، ثم لا تجتمع لموضوعه صفة الفصاحة السارية فب الأسماع والقلوب. أما فصاحة محمد عليه الصلاة والسلام- فقد تكاملت له في كلامه، وفي هيئة نطقه بكلامه، وفي موضوع كلامه"^{٢٢}.

ويستدل العقاد على فصاحة النبي - عليه الصلاة والسلام- وتميزه عن غيره ممن نشأ في البيئة اللغوية نفسها: " ...أما محمد فقد كان جمال فصاحته في نطقه، كجمال فصاحته في كلامه، وخير من وصفه بذلك عائشة - رضي الله عنها - حيث قالت: " ما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يسرد كسر دكم هذا؛ ولكن كان يتكلم بكلام بين

^{١٩} الرافعي، تاريخ آداب العرب، راجعه: عبدالله المنشاوي، مهدي البقيري، المنصورة: مكتبة الإيمان، ٣٢٥/٢

^{٢٠} السابق نفس الصفحة

^{٢١} تاريخ آداب العرب ٣١٥/٢

^{٢٢} عباس العقاد، عبقريّة محمد، ص ٢٥.

فصل ، يحفظه من جلس إليه ". إذن الروايات اتفقت على تنزيه نطقه من عيوب الحروف ومخارجها ، وقدرته على إيقاعها في أحسن مواقعها^{٢٣} .

المحور الثاني : نماذج من فصاحة الحديث النبوي:

فصاحة الرسول -صلى الله عليه وسلم - وبلاغته ، من الأمور المسلّمة، والحديث الشريف تضمن ضروريا من الفصاحة والبيان ، وبلاغة القول واللسان ، فهو مصدر إغناء للغة ، ورفدها بألفاظ لم تكن متداولة ، إذ لم تسمع إلا في حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- . وهذه البراعة كانت على ضروب مختلفة ، منها ما خصّ اللفظة بمعنى جديد ، ومنها ماكنت براعته في دقة التركيب اللغوي ، ومنها ما ابتدعها -عليه الصلاة والسلام- لم يسبق للصحابة سماعه . ولو تأملنا هذه الفصاحة وسعة البيان ، نجدها ماهي إلا تعزيز من الله سبحانه لنبيه الكريم -عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، فكيف لا ! وهو القائل -عليه الصلاة والسلام : (بعثت بجوامع الكلم^{٢٤}) ، ويقول الرافعي في خلوص لغته ، وعذوبة بيانه : " فله في ذلك رتبة بعيدة المصعد ، فلا جرم كان -صلى الله عليه وسلم- على حد الكفاية في قدرته على الوضع ، والشقيق من الألفاظ ، وانتزاع المذاهب البيانية ، حتى اقتضب أفاظا كثيرة لم تسمع من العرب قبله ، ولم توجد في متقدم كلامها ، وهي تعد من حسنات البيان ، لم يتفق لأحد مثلها في حسن بلاغتها ، وقوة دلالتها ، وغرابة القريحة اللغوية في تأليفها وتنضيدها^{٢٥} " ، قال الجاحظ : وسنذكر من كلام رسول الله -صلى الله عليه وسلم - مما لم يسبقه إليه عربي ولا شاركه فيه أعجمي ، ولم يدع لأحد ولا ادعاه أحد مما صار مستعملا وسائرا^{٢٦} " . وسنعرض نماذج فصاحته وبلاغته وحسن بيانه -عليه الصلاة والسلام - على سبيل المثال لا الحصر ، على النحو التالي :

أولا : ألفاظ وتراكيب انتقلت دلالتها:

قبل أن نشرع في الحديث عن جمالية الألفاظ في الحديث النبوي الشريف، نشير إلى أنه، صلى الله عليه وسلم، كان يمتلك معجما لغويا كبيرا، ساعده على انتقاء الألفاظ المناسبة لأحاديثه. فهو من قريش، ونشأ في بني سعد بن بكر. فجمع بذلك بين فصاحة مكة مهد الصبا، وفصاحة بني سعد البدوية المتينة.

١- قوله- عليه الصلاة والسلام : " مات حنف أنفه "

^{٢٣} السابق ، ص ٢٥ .

^{٢٤} الرافعي ، اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ط ٩ ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٧٣ م ٣٣٩

^{٢٥} الرافعي ، اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ٣١٥

^{٢٦} الجاحظ ، البيان والتبيين ، ١٥/٢

جعل الموت للأنف خاصة وهو في الحقيقة للإنسان عاما ، والأنف مضرب الكبرياء والعزة ، وموته بخروج النفس من أنفه شيئا فشيئا ، دليل على حلول موته دون حرب أو قتال ، أو أمر يؤرخ له فخرا^{٢٧} .

٢- قوله- عليه الصلاة والسلام: "الآن حمي الوطيس" .

وهو يعني اشتدت الحرب ، وعظم الخطب ، والوطيس في كلامهم حفيرة تحتقر فيوقد فيها النار للاشتواء ، فانقل هذا المعنى إلى الحرب ، للتعبير عن شدة القتال^{٢٨} .

٣- قوله- عليه الصلاة والسلام: "الحمى رائد الموت"^{٢٩}

الرائد : الدليل والهادي ، وهو في الأصل الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكأ ومساقط الغيث . وجاءت في الحديث الشريف بمعنى رسول الموت الذي يتقدمه ، كما يتقدم الرائد قومه . فقد خرجت هذه اللفظة من نطاقها المعروف إلى مجال آخر ، حيث صار اللفظ عاما في كل ما يتقدم أمرا من الأمور.

٤- قوله صلى الله عليه وسلم: " لا صرورة في الإسلام"^{٣٠}

نص شراح غريب الحديث على أن الأصل العام لكلمة صرورة هو : الحبس والمنع أو الجمع ثم انتقلت الكلمة اعتمادا على هذا الأصل العام ، فمنهم من قال : إن معنى الصرورة : " الذي لم يحج قط"^{٣١}

٥- سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه: " ما تعدون الصرعة فيكم ؟ قالوا الذي لا تصرعه الرجال . قال : " لا ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب "

ولم يكن المعنى الذي ورد في الحديث معروفا عند العرب ، فقد أضفى عليه النبي ظلا جديدا . أقر ابن الأثير بانتقال المعنى من الأصل الذي كان عليه إلى ما آل إليه لضرب من التوسع والمجاز ، مبينا الصلة التي تربط المعنى الإسلامي الجديد بالمعنى اللغوي ، فبعد أن قال : إن الصرعة الذي لا يُغلب ، انتقل إلى الذي يغلب نفسه عند الغضب ويقهرها ، فإنه إذا امتلكها فقد قهر أقوى أعدائه^{٣٢} . وهكذا انتقل المعنى في هذه اللفظة من الدلالة على من يصرع غيره مطلقا إلى من يمسك نفسه .

٦- قوله صلى الله عليه وسلم: " لا خلاط ولا وراط"^{٣٣} .

^{٢٧} البيان والتبيين ، الشريف الرضي ، المجازات النبوية ، تح : طه الزيتي ، قم : منشورات مكتبة بصيرتي

٦٨

^{٢٨} المجتني ، ٣ ، الشريف الرضي ، المجازات النبوية ، ٤٦

^{٢٩} ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تح : طاهر الزاوي ، محمود الطناحي ، بيروت : المكتبة العلمية ، ١٩٧٩م ، ٢٧٥/٢ ، الرضي ، المجازات النبوية ، ٥٧

^{٣٠} أبو عبد الله النيسابوري ، المستدرک علی الصحیحین ، دار المعرفة ، ١٩٩٨ ، ٢٧٢٠ ، النهاية في الغريب والأثر ، ابن الأثير ، ٢٢/٣ ،

^{٣١} ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ٢٢ / ٣

^{٣٢} النهاية في غريب الحديث ٢٣ / ٣

^{٣٣} النهاية في غريب الحديث ١٧٤ / ٥

الورط : أن يجعل غنمه في هوة من الأرض ، ليخفي موضعها . والورطة : هي الهوة في الأرض . يقال وقعوا في ورطة أي بلية تشبه البئر الغامضة ، وورطهم أي أوقعهم فيها . ثم انتقلت لمن وقع في بلية يعسر المخرج منها فيقال : تورط واستورط^{٣٤} .

٧- قوله صلى الله عليه وسلم : " هدنة على دخن " الهدنة : الصلح والموادعة ، وفي هذا القول إشارة من يظهر السلم والمحبة ، ويضمر الحقد والضغينة ، فكأنما كانت الهدنة قائمة على غدر وقتنة^{٣٥} .

٨- قوله صلى الله عليه وسلم : " إياكم وخضراء الدمن " خضراء الدمن : هي المرأة الحسنة ذات المنبت السوء ، فالمعنى هنا النهي عن الاعتزاز بالمظهر الحسن بينما المخبر سيئا^{٣٦} .

٩- قوله صلى الله عليه وسلم : " الناس معادن " في هذه العبارة وجه لطيف لتمييز بين صنوف الناس ، فإني - عليه الصلاة والسلام - شبه الناس بالمعادن التي تكون في بواطن الأرض ، فلا يحكم عليها من الظاهر ؛ بل لابد من فحصها واستنباط بواطنها لتعرف الجيد منها من الرديء^{٣٧} .

١٠- قوله صلى الله عليه وسلم : " النساء حبائل الشيطان " هذا القول للنبي - عليه الصلاة والسلام - من خطبة طويلة ، جعل فيها النساء من أقوى ما يصيد به الشيطان الرجال ، فهن كالحبائل المبتوثة ، والأشراك المنصوبة ، فيقع في هذه الشرك من غرر به الشيطان وأوقعه في المعاصي^{٣٨} .

١١- قوله صلى الله عليه وسلم : " اليد العليا خير من اليد السفلى " هنا حث على الصدقة حيث أراد النبي عليه الصلاة والسلام - باليد العليا يد المتصدق ، واليد السفلى يد السائل ، فالمراد أن المعطي أعلى رتبة ومفضل على المعطى ، فالمفضل خير من المفضل عليه^{٣٩} .

١٢- قوله صلى الله عليه وسلم : " من كسب مالا من نهاوش انفقه في نهاير " ^{٤٠} المراد في قوله - عليه الصلاة والسلام - من كسب أموال من النواحي المذمومة ، متعرضا في طلبها للسبل المكروهة، انفق هذه الأموال في الوجوه المحرمة، التي يضيع الانفاق فيها ولا تعود إليه بالنفع^{٤١} .

^{٣٤} النهاية في غريب الحديث ١٧٤ / ٥

^{٣٥} المجازات النبوية ٢٤٨، الرفاعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٣٢٨ .

^{٣٦} المجتنى ، ٥ ، المجازات النبوية ، ٦٩

^{٣٧} المجازات النبوية ، ١٣٥

^{٣٨} المجازات النبوية ، ٢٠٢

^{٣٩} ابن دريد ، المجتنى ، تح : عبد المجيد خان ، ١٩٦٣م ، ٨

^{٤٠} النهاوش : المظالم والاححاف بالناس . النهاير : المهالك

- ١٣- قوله صلى الله عليه وسلم في ذكر الخوارج : " يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية " .
وصفهم بالخروج من الدين خروجا سريعا دون أن يتعلقوا بعقدته . كالسهم الذي يصيب الرمية ثم خرج مسرعا من جسمها ولم يعلق به شيء من لحمها^{٤٢} .
- ١٤- قوله صلى الله عليه وسلم : " لا تسأل المرأة طلاق أختها لتكتفي ما في إنائها " وفي هذا القول الوجيز إشارة عظيمة ؛ فلا ينبغي للمرأة أن تطلب طلاق أختها ، لتأخذ زوج أختها لنفسها ، فتكون كالتى اكتفأت إناء أختها لتستأثر بما فيه^{٤٣} .
- ١٥- قوله صلى الله عليه وسلم : " يمين الله ملأى سحاء " في هذه العبارة استعارة ؛ إذ المقصود من يمين الله هنا : نعمه ، والامتلاء لكثرة منافعها وعمومها ، سحاء : شديدة الكرم . فالمقصود من التركيب أن الله غني كريم ، يده مليئة بالخير^{٤٤} .
- ١٦- قوله صلى الله عليه وسلم في حديث غزوة الحديبية : " من كان معو نُقل فليصطنع "^{٤٥} .
- يقول الخطابي: الثقل الدقيق ونحوه مما لا يشرب، فيكون سويقا أونحوه^{٤٦}. فالرسول قد نقل الدلالة الثقل وهي ما رسب تحت الشيء من خثور وكدره، إلى كل كالا يشرب كالخبز وغيره^{٤٧} .
- ١٧- قوله صلى الله عليه وسلم : وقد سئل عن الأبل فقال : " أعنان الشياطين " . يريد عليه الصلاة والسلام المبالغة في وصف الأبل بالأخلاق السيئة ، والطباع المستعصية ، فكأن الشياطين تأمرها وتنهاها . ولا شك في أن هذا الإيجاز الجامع لألفاظ ومعان شتى قد وصف الأبل بما تستحق ، فليس أدل على سوء الخلق من تسلط الشيطان عليه .

ثانيا : ألفاظ وتراكيب لم تسمع من غيره :

من هذه العبارات ولألفاظ التي ابتدعتها عليه الصلاة والسلام ما يلي :

^{٤١} المجازات النبوية ١٧٠

^{٤٢} السابق ، ٣٣ .

^{٤٣} السابق ، ص ٥٣

^{٤٤} السابق ، ص ٩٨

^{٤٥} الخطابي ، غريب الحديث ١ / ٧٢٠ ، الزمخشري ، الفائق ١ / ١٦٩ .

^{٤٦} الخطابي ، غريب الحديث ، ١ / ٧٢٠ .

^{٤٧} الزمخشري ، الفائق ، في غريب الحديث ، تح : علي الجاوي ، محمد إبراهيم ، ط ٢ ، بيروت : دار المعرفة ، ١ / ١٦٩ .

- ١- (التتابع)، وردت في قوله -صلى الله عليه وسلم : " ما يحملكم على أن تتابعوا في الكذب كما يتتابع الفراش في النار " ^{٤٨}
- قال أبو عبيدة : التتابع : التهافت في الشر والمتابعة عليه يقال للقوم : قد تتابعوا في الشر ، إذا تهافتوا وسارعوا إليه ... وأردف قائلاً : "لم اسمع التتابع في الخير إنما سمعناه في الشر " ^{٤٩} إذن التتابع من الألفاظ الخاصة بالدلالة على الشر.
- ٢- قوله -صلى الله عليه وسلم : " حجابہ النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره " ^{٥٠} .
- وقيل السبحة : هي جلال وجهه ونزره ، ومنه سبحان الله ، وهو تعظيم لله تعالى ، ذكر أبو عبيد أنه لم يسمع هذه اللفظة إلا في الحديث الشريف ^{٥١} .
- ٣- قوله صلى الله عليه وسلم : " إياكم والإفراد ، قالوا : يارسول الله ؛ وما الإفراد ؟ قال : الرجل منكم يكون أميراً أو عاملاً فيأتيه المسكين والأرملة ، فيقول لهم : مكانكم حتى أنظر في حوائجكم ، ويأتيه الشريف والغني فيدنيه ويقول : عجلوا قضاء حاجته ويترك الآخرون مقردين " ^{٥٢} .
- ٤- قوله صلى الله عليه وسلم : " إذا أراد الله بعبد خيراً عسله . قيل له يا رسول الله : وما عسله ؟ قال : يفتح له بين يدي موته عملاً صالحاً يرضى حتى يرضى عنه من حوله " ^{٥٣} .
- ٥- قوله صلى الله عليه وسلم لحادي مطيه : " يا أنجشہ : رفقا بالقوارير " ^{٥٤} .
- وهنا وصف النبي - النساء بالقوارير ، فكأنهن نور وصفاء ورقة قلما تسلم إلا بشدة الصيانة والحفظ .
- ٦- قوله صلى الله عليه وسلم : " ولا تنطح فيه عزان " ^{٥٥} .
- أي : لا امترأ فيه ، فأكثر ما يكون انتطاح المعزى ، إذا اخسبت الأرض فشبع ، فتنطح أختها وما بها نطاح .

^{٤٨} نور الدين الهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تحرير : العراقي وابن حجر ، القاهرة : مكتبة القدس ، ١٣٥٢هـ ، ٦ / ٢٠٩ .

^{٤٩} بنظر ، غريب الحديث ، ١٣ / ١ - ١٤ .

^{٥٠} صحيح مسلم ، تح : محمد عبد الباقي ، ط ١ ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٥ ، ١ / ١٦١ .

^{٥١} غريب الحديث والأثر ١٧٣ / ٣

^{٥٢} الزمخشري ، الفائق في غريب الحديث ، تح : علي الجاوي ، محمد إبراهيم ، ط ٢ ، بيروت : دار المعرفة ، ١٧٠ / ٣ ،

النهاية غريب الحديث ٣٦ / ٤

^{٥٣} المجازات النبوية ٢١

^{٥٤} أخرجه أحمد بن حنبل ، الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ٣٣١

^{٥٥} ابن دريد ، المجتبي ، تح : عبد المجيد خان ، ١٩٦٣م ، ٢ ، الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ٣٣٠ .

٧- قوله صلى الله عليه وسلم: " الحرب خدعة " .
يريد عليه الصلاة والسلام بهذه الحكمة ؛ أن المماكرة في الحرب ، أنفع من المكاثرة والاقدام من غير علم . وهو قول لم يسبقه غيره ، وقد أوجز فأبلغ -عليه الصلاة والسلام^{٥٦} .

٨- قوله صلى الله عليه وسلم: " بلوا أرحامكم ولو بالسلام " المراد من هذا القول ، صلة الأرحام ، أي لا تجعلوا العلاقة بينكم يابسة ؛ بل جدوها وبلوها بالماء حتى تلين ، ولو بالتسليم عليهم تشبيها ببل السقاء اليابس ، فيلين ويندى ويقع في النفوس أثره . فأى قول أبلغ من هذا ؟؛ فقد جمع الفوائد والفوائت اللغوية والمعنوية ، وكل ما ينفع المؤمن في حال دنياه وأخرته^{٥٧} .

٩- قوله صلى الله عليه وسلم: " لا يجني على المرء إلا يده " أرد بهذا القول أن المرء لا يؤخذ بجناية غيره ، وإنما يده هي الجانية عليه . فلم يسبق بهذه العبارة التي جمعت أنظمة وأحكاما بكلمات قليلة^{٥٨} .

١٠- قوله صلى الله عليه وسلم: " ترك الشر صدقة " يريد عليه الصلاة والسلام - أنه من الخير للمرء ترك الشر ، بل يعد كالصدقة ، فإذا ترك الشر فكأنه تصدق على الناس. ولا يخفي ما في هذا المعنى من سلوكيات وأدبيات المعاشية بين الناس، ونشر الإحسان بينهم^{٥٩} .

١١- قوله صلى الله عليه وسلم: " الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة " تصف هذه العبارة الموجزة أحوال البشر ، فالناس كثير ؛ ولكن لا تكاد تجد من ترضى عنه ، كما هي الإبل المئة لا تصاب فيها الراحلة الواحدة^{٦٠} .

المحور الثالث : عوامل فصاحة الحديث النبوي ودلائل تفوقها:

❖ عوامل تفوق البيان النبوي:

١- التوفيق من الله والتوقيف: بعث الرسول -عليه الصلاة والسلام- للعرب وهم قوم يقادون من أسنتهم ، ولهم المقامات المشهورة في البيان والفصاحة ، وعلمه - صلى الله عليه وسلم- بمختلف طبقاتهم وطرف أدانهم ، والرد عليهم بأفصح وجه ، كأنما تكاشفه اللغة بأسرارها ، دون أن يدرس عليه السلام - بنقد الكلام ، مما يدل على أن الله جل وعلا-خصه به .

٢- البينة العربية: نشأ عليه الصلاة والسلام- في أفصح القبائل ؛ إذ أن مولده في بني هاشم ، وأحواله من بني زهرة ، ورضاعه في سعد بن بكر ، ومنشؤه في قريش

^{٥٦} ابن دريد ، المجتبي ، ص ٤ .

^{٥٧} المجازات النبوية ، ص ١٠١ .

^{٥٨} ابن دريد ، المجتبي ، ص ٦ .

^{٥٩} ابن دريد ، المجتبي ، ص ٨ .

^{٦٠} ابن دريد ، المجتبي ، ص ١٤ .

تزوج من بني أسد ، وهجرته إلى الأوس والخزرج ، لذا قال عليه الصلاة والسلام : " أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر ، وقد أقر له بذلك فصحاؤهم وأهل البلاغة إذ لم يجدوا فيه مغمزا يلين لنقدهم تفوقه في اللغة القريشية التي هي أفصح اللغات وأبينها، وقد أمتاز جميع أهلها بصفاء الفطرة ونقاء الحس واستقامة اللسان ^{٦١} .

٣- **النفحة القرآنية** : إن سماع النبي -عليه الصلاة والسلام- للقرآن من جبريل -عليه السلام- له أثر بالغ على بيانه صلى الله عليه وسلم ؛ فكان جبريل -عليه السلام- يقرأه على النبي ، ومحمد عليه الصلاة والسلام -يعلمه لأصحابه رضي الله عنهم- ، ويأمرهم بكتابته ، وكان عليه الصلاة والسلام يتلوه آناء الليل وأطراف النهار ؛ فالرسول -عليه الصلاة والسلام- قد تأثر بالقرآن الكريم وبلاغته ، لذلك جاء بيانه -عليه الصلاة والسلام- تاليا للبيان القرآني ^{٦٢} .

❖ دلالات التفوق :

● معرفته للغات القبائل :

كان عليه الصلاة والسلام -يخاطب كل وفد من وفود العرب بما لديهم من كلمات وتعابير خاصة بهم ، وكان يأتي من ذلك بما لا يحسنه أد من العرب غيره ، فقد كان يخاطب هذه الوفود بما يفهمون وهذا الذي ادش من حوله ، إذ لا يعرف ما يقول من معان وأوضاع ، فلم ترد في لغة قريش ولم تهدي لفهمها ، حتى قال علي -رضي الله عنه- وقد سمعه يخاطب وفد بني نهد : " يا رسول الله ، نحن بنو أب واحد ، وتراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره . فقال عليه الصلاة والسلام : " أدبني ربي فأحسن تأديبي " .

وهذه اللغات التي تفرد النبي -صلى الله -بمعرفتها دون قومه ثم لا تجري في منطقه إلا مع أهلها خاصة ، ومن أمثلة كتبه التي أرسلها إلى الملوك :

١- كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل بن حُجر الكندي ، أحد أقيال حضرموت ، ومنه : " إلى الأقيال العَبَاهلة ، والأرواع المشاييب ... " وفيه : وفي التَّيعة شاة لا مقورة الألياط ، ولا ضناك ، وأنطوا الثبجة .. وفي السيوب الخمس ، ومن زنى مم بكر فاصقوه مئة ، واستوفضوه عاما ، و من زنى مم ثيب فضرَّ جوه بالأضاميم ... " ^{٦٣} .

^{٦١} كمال عز الدين ، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ط١ ، دار اقرأ ، ١٩٨٤م ، ٦١ .

^{٦٢} إبراهيم الجعلي ، أضواء على البلاغة النبوية ، الرياض : مكتب الرشد للنشر ، ٢٠٠٤م ، ص٥٧ .

^{٦٣} إيجاز القرآن والبلاغة النبوية ٣١٩ ، الأقيال : جمع قيل ، وهو الملك . العباهلة : المقرون على ملكهم . الأرواع : الذين يروعون بالهيبه والجمال . المشاييب : الجميل الزاهر اللون . التيعة : أربعون شاة . المقورة الألياط : المسترخية الجلود . الضناك : السمينة . الثبجة : الوسط . السيوب : العطايا . المراد به الركاز . الصقع : الضرب . الاستيفاض : النفي والتغريب . الأضاميم : الحجارة .

٢- كتابه إلى همدان ، ومنه : " ... إن لكم فراعها ووهاطها وعزازها ، تأكلون علافها ، وترعونن عفاءها ، لنا من دفنهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة ، ولهم من الصدقة الثَّلب والناب والفصيل والفاض والداجن والكبش الحواري ، وعليهم فيها الصالغ والقارح"^{٦٤}.

٣- حديث زيد بن ثابت -رضي الله عنه : كنت مع النبي -عليه الصلاة والسلام وهو يُلمي عليّ كتابا ، وأنا استقهمه ، فاستأذن رجل عليه ، فقال لي : أنط ، أي : اسكت"^{٦٥}.

● بلاغة الرسول -عليه الصلاة والسلام - في رسائله ومعاهداته وخطبه :

(١) الرسائل والمعاهدات : عرفت الرسائل المكتوبة عند العرب قبل البعثة النبوية ، لما تستدعيه ظروف التجارة والعقود بين المتحالفين ، و تروي كتب السير والحديث والتاريخ أكثر من أربعين وثيقة نبوية ما بين رسالة إلى ملك أو قائد وما بين معاهدة و صلح و اتفاق بين متنازعين ، ولعل ورود هذه الرسائل والمعاهدات تفرضه ظروف الدعوة .

وقد شاعت الأقدار أن يسلم على مدى العصور ثلاثة أصول خطية مما أرسله البير عليه السلام ، منها ما أرسل إلى المقوقس وفد وجده المستشرق الفرنسي بارتلمي ، و كتابه إلى المنذر بن ساوى وقد نشره المستشرق بلايشر ، و كتابه إلى النجاشي ونشره المستشرق دنلوب .

ومما نود الإشارة إليه من هذا القول ، أن بلاغة الرسول عليه الصلاة والسلام- قد ظهرت وتجلت من خلال هذه الرسائل ، وما يؤيد هذا المذهب ما شاع من تعريف البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ، وهذه النصوص بمثابة مواد قانونية لوضع أسس وثوابت بين الرسول عليه السلام ، ملوك وأمراء ، فيها ما فيها من الشروط والقوانين ، فليس مجالها مجال عاطفة وخيال ، أو وصف تعبير ، فالموقف لا يسمح بغير الدقة والوضوح ، والناظر إلى خطب وأحاديث النبي -عليه السلام-وبين رسائله يرى في الثانية البهاء الجمالي والإبداع البياني ، والسؤال هنا : لماذا رفض بعض الدارسين إطلاق اسم الكتابة الفنية على رسائله عليه الصلاة والسلام ؟ والسبب في ذلك كما يرون أن رسائله ليست إلا كتباً مرتجلة محلاه بلغة سهلة لا يوشبها شيء غير أنها فصيحة ، وتهبط كثيراً عن لغة الخطابة التي لها تقليدها المعروفة . وبرد على هذا القول الدكتور محمد رجب بيومي منتقداً ما قيل

^{٦٤} اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٣٢٠ ، الفراع : مجاري المياة إلى الشعب ، الوهاط : الأراضي المنخفضة . العزاز : الأرض الصلبة . العلاف : ما ليس فيه ملك . الدف والصرام : الأبل والغنم . الثلب : البعير الهرم . الناب : الناقة الهرمة . الفصيل : ولد الناقة إذا فصل عن أمه . الفارض : المسن من الأبل . الصالغ من البقر والغنم : الذي كمل سنته السادسة .

^{٦٥} ابن الجوزي ، غريب الحديث ، تح : عبد المعطي قلعي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٥ م ، ٤٣/١ .

عن الكتابة في عهد الرسول عليه السلام- وأنها كنت تسير على مقتضى الحال المتعارف عليه في الكتابة السياسية منذ القدم حتى يومنا هذا ، وخلوها من الجماليات البلاغية بحسب لها لا عليها ، ولا يمكن أن تخرج عن الفن لأن الفن في صميمه التزام بما تقتضيه المواقف والظروف^{٦٦}.

(٢) خطبه -عليه الصلاة والسلام : تميزت خطب النبي عليه الصلاة والسلام- بالجزالة وانتلاف اللفظ ، كما راعت في مجملها سياق الحال . قال الجاحظ : خطب الرسول -صلى الله عليه وسلم - بعشر كلمات ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : " إياها الناس إن لكم معالم فانتبهوا إلى معالمكم ، وإن لكم نهاية فانتبهوا إلى نهايتكم ، إن العبد بين مخافتين : بين عاجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به ، وبين أجل قد بقى لا يدري ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ، ومن الشيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت ، فو الله الذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعنت ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار"^{٦٧}.

• البيان النبوي والاقتباس الشعري :

كما نعلم فقد اجتمعت في كلام النبي-عليه الصلاة والسلام- الفصاحة والبلاغة ، و جمال الإيجاز ، وبراعة التصوير ، ما لم يجتمع لبشر قط ، إذ جاءت أقواله بليغة ، ذات أهداف بعيدة ، تتضمن النصائح والبدايع ، والحكم البالغة ، عالية الأفنان ، رفيعة الأفكار ، لم يعرف لها مثل في كلام غيره من الرسل أو البلغاء والأدباء ، كل هذه الصفات والسمات جعلت القلوب تتهافت على فهمها ، والألسن تحرص على ذكرها ، فاهتم بها الناس وأصبحت أمثالا سائرة ، وحكما دائرة .

لذلك كان لها صدى كبيرا في اللغة وخاصة في ألفاظ الشعر ، حيث أدرج الشعراء كثيرا من أحاديث النبي-عليه الصلاة والسلام-ضمن قصائدهم ، يقينا منهم بمدى الأثر اللغوي والدلالي لقوله-عليه الصلاة والسلام- على السامع ، والفوائد العظيمة والحكم البالغة التي يشملها ، ولعل هذا أبلغ ردٍ على من ينكر الجمال الفني في الألفاظ والتراكيب النبوية ، وانطلاقا من هذا القول سنعرض بعض النماذج لأقوال الشعراء المتضمنة لقوله -عليه الصلاة والسلام- استشهادا على إعجاب واهتمام أهل الأدب والفن بكلام الرسول -عليه الصلاة والسلام- وأنه بلغ من جمال اللفظ و براعة التركيب ما جعله يتربع على قمة البيان البشري . فأوردت الحديث النبوي ثم ذكرت بيانا فقط من القصائد المتأثرة به ، على سبيل المثال لا الحصر : قال أبو عبيد: وجاءنا عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال: " الجار ثم الدار والرفيق قبل

^{٦٦} محمد رجب بيومي ، البيان النبوي ، ط ١ ، دار الوفاء للنشر ، ١٩٨٧م ، ١٠٩ - ١٢٠

^{٦٧} البيان والتبيين ، ١ / ٣٠٢

الطريق " أي التمس الجار قبل الدار والتمس الرفيق قبل الطريق^{٦٨}. أخذه أبو تمام فقال يمدح أحمد بن أبي داود مقتبساً هذا القول^{٦٩}:

مَنْ مُبْلِغُ أَفْنَاءٍ يَعْرِبُ كُلَّهَا
أَيُّ أَبْتَنِيَتْ الدَّارَ قَبْلَ الْمَنْزَلِ

● قوله صلى الله عليه وسلم: " حبك الشيء بعمي ويصم"^{٧٠}
ويريد به النبي-علسه الصلاة والسلام- أن حب الإنسان للشيء قد يعميه عن عيوبه ، ولا يسمع الذم والعذل فيه . هذا مجازاً لأن الحب لا يعمي أو يصم ؛ ولكن الحب يجعل الإنسان يتغاضى عن مواضع العيوب والخلل فيمن أحب ، فيصير كالأعمى والأصم .

قال البوصيري في هذا المعنى^{٧١} :

محضتني النصح لكن لست أسمعُهُ
إنَّ المحبَّ عن العذال في صَمَمٍ

● قوله صلى الله عليه وسلم: " ليس الخبر كالمعاينة"^{٧٢}
ومعناه أن الخبر ليس كالنظر بالعين ، فما يراه المرء ويبصره بنفسه ، ليس كالخبر الذي يصل إليك ويحتمل الصدق والكذب .

اقتبس منه صفي الدين الحلبي قوله^{٧٣} :

إِنْ قَدْرُمْتَ فِي الْهَوَى بَدَلًا
فَانظُرْ فَلَيْسَ الْعِيَانُ كَالْخَبِيرِ

● قوله صلى الله عليه وسلم: " الناس كأسنان المشط"^{٧٤}
المراد من هذا القول هو تساوي الناس ؛ فكلهم بنو آدم ، ولا فرق بينهما إلا بالتقوى والعمل الصالح .

أخذ الشعراء هذا القول الفريد ذو المعنى الجميل ، وجعلوه ضمن قصائدهم ، قال الصنوبري^{٧٥}:

أَنَاسٌ هُمْ الْمَشْطُ اسْتَوَاءً لَدَى الْوَعَى
إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ اخْتِلَافَ الْمَشَاجِبِ

^{٦٨} أبو عبيد البكري، فصل المقال في كتاب الأمثال، تح: قصي الحسين، بيروت: مكتبة الهلال، ص ١٩٢
^{٦٩} أبو تمام، ديوان أبي تمام، شرح وضبط: غيمان البقاعي، بيروت: مؤسسة الأعلمي، للمطبوعات، ١٥/٢

^{٧٠} أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تعليق: محمد أبو الفضل، عبد المجيد قطامش، ط ٢، بيروت: دار الجيل، ١٤١٩هـ، ١/٣٥٦.

^{٧١} الحسن اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تح: قصي الحسين، بيروت: مكتبة الهلال، ٢٠٠٣م، ٢/٧٨.

^{٧٢} الميداني، مجمع الأمثال، ١٨٢/٢.

^{٧٣} صفي الدين الحلبي، ديوان صفي الدين الحلبي، بيروت: دار صادر، ص ٤٥٥.

^{٧٤} أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ١/٥٢.

^{٧٥} أبو عبيد البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تح: قصي الحسين، بيروت: مكتبة الهلال، ص ١٥٧.

● قوله صلى الله عليه وسلم: " من تواضع لله رفعه " ^{٧٦} .
هذا القول من الأمثال الشائعة بين الناس ، وهو يحث على التواضع الحقيقي لله ، وإذا تحقق ذلك ، سيجازيه الله بالرفعة في الدنيا والآخرة .
أخذ المعنى الطرابلسي وبنى عليه البيت التالي ^{٧٧} :
من يتواضع لله رفعه
وضدّه بدون شكٍّ وضعه

المحور الرابع: الأحاديث النبوية والاستشهاد :

قبل الخوض في دراسة الاستشهاد بالحديث ، أرى أن أوضح المقصود بالحديث المحتج به ، قال الشيخ محمد الخضر أن المراد به :قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأقوال صحابته الكرام التي تحكي فعلا من أفعاله ، أو حالا من أحواله ، أو ما سوى ذلك من شؤون عامة أو خاصة تتصل بالدين ، ثم أقوال التابعين من طرق المحدثين ، تأخذ حكم الأقوال المرفوعة إلى الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- من جهة الاحتجاج بها في إثبات لفظ لغوي ، أو قاعدة نحوية ^{٧٨} .
اتسعت دائرة الخلاف واختلقت مذاهب النحاة حول الاستشهاد بالحديث الشريف ، وكانت لهم أسبابهم التي دعتهم للخلاف حول الاستشهاد به ، على الرغم من أنه يحتل المرتبة الثانية من مراتب الاستشهاد بعد القرآن الكريم إلا أن كثيرا من النحاة لم يعتمدوا عليه في التقعيد . وها نحن نجد سيبويه لم يحتج في كتابه الضخم إلا بأحاديث معدودة ، كما أنه مع احتجائه به لا يصرح بأن هذا حديث للرسول -صلى الله عليه وسلم- ، جاء بعده نحاة احتجوا بما ورد عنده من أحاديث أضافوا عليها حسب ما تطلبت قواعدهم ، فأخذ اللاحق عن السابق بما يخدم مذهبه ^(٧٩) .

وعن سر هذا الموقف يقول مغالسة متسانلا : " لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال قولته المشهورة : " أنا أفصح العرب بيد أني من قريش " فلم تترك هذه المقولة مجالا لأحد في المناقشة ، وكأنها تجعل الاحتجاج بالأحاديث أمرا مسلما به كما هو الأمر في الاحتجاج بالقران الكريم ؟ أم لأن الوضع في الحديث كثر وتزايد بحيث صعب على هؤلاء النحاة الأوائل الذين كانوا يتحرون الدقة ويتشددون التشدد كله أن يميزوا بين ما هو للرسول وما هو ليس له ؟ أم لأن الحديث روي بعض منه بالمعنى فاشتمل على لفظ غير لفظ النبي ، وإعراب غير إعرابه ، وتصريف في اللفظ غير تصريفه ، الأمر الذي جعل هؤلاء يتخرجون في البت في هذه القضية ؟ و يبدو لي- القول لمغالسة- أن هذه الأسباب جميعا جعلت هؤلاء يلوذون بالصمت دون أن

^{٧٦} الميداني ، مجمع الأمثال ، ١٥٢ / ٢ .

^{٧٧} إبراهيم الطرابلسي ، فرائد اللال في مجمع الأمثال ، ٤٠٠ / ٢ .

^{٧٨} محمد الخضر حسين ، دراسات في العربية وتاريخها ، مكتبة دار الفتح . ١٦٦ ، ١٦٧ .

^{٧٩} خديجة الحديثي ، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف ، (بيروت: دار الطليعة ، ١٩٨١م) ، ٥ .

بصرحوا بقول أو رأي ، وكان الوقت لم يحن بعد للقطع في مثل هذه القضية ولو بتوا فيها كما بتوا في الاحتجاج بنصوص الشعر والنثر لما كان هناك مجال لأحد من النحاة المتأخرين في الذهاب فيها مذاهب متباينة ، والإدلاء بأراء متناقضة وتحامل بعضهم على بعض ، ولما امتد هذا الخلاف أزمنة متعاقبة ظهر تأثيره في كتب المعاصرين الذين بحثوا هذه القضية ، وناقشوا جوانبها العديدة^{٨٠} وهذا الموقف هو ما دفع بعض النحاة المتأخرين إلى نفي و قوع احتجاج النحاة الأوائل بالحديث . ولعل عزوف النحاة عن الاستشهاد بالحديث يراه البعض بسبب الخوف من طغيانه على القرآن الكريم ، وكان الرسول -صلى الله عليه وسلم - يقول للصحابة (من كتب عني غير القرآن فليتمحه) كما أنه لم يدون مبكرا ، فكان في صدور الرواة مما فسح المجال لانتحاله واختلاف رواياته حتى صعب تمييز الصحيح من الكاذب ، وذلك يعود للاختلافات الحزبية ، والعصبية القبلية، ودخول الأعاجم، وكثرة الفرق الدينية ، ثم انتشار الزندقة، هذه العوامل متفرقة ومجمعة جعلت أوائل العلماء لا يحتجون بالحديث الشريف)^{٨١}.

موقف القدماء :

تكاد معظم المصنفات والأبحاث التي تناولت الاستشهاد بالحديث أن تذهب إلى ثلاث مذاهب، انقسم حولها النحاة إلى فئات ، ويمكن إجمالها في الآتي :

الفئة الأولى: المانعون :

يمثل هذا المذهب وأبرز القائلين به ابن الضائع وأبو حيان، وقد علا انصرافهما عنه ومنعهما الاستشهاد به بحجج ثلاث :

الأولى: أن النحاة المتقدمين لم يحتجوا به مطلقا ، وتابعهم المتأخرون في ذلك.

الثانية: جواز رواية الحديث بالمعنى دون اللفظ .

الثالثة: كون بعض رواة الحديث من الأعاجم ،فوقع اللحن كثيرا فيما روي عنهم^(٨٢)

تحدث ابن الطيب الفاسي عن موقف المانعين من الاستشهاد بقوله : "لا نعلم أحد من علماء العربية خالف في هذه المسألة إلا ما أبداه أبو حيان في (شرح التسهيل) ، وأبو الحسن بن الضائع في (شرح الجمل)، وتابعهما على ذلك الجلال السيوطي رحمه الله فأولع بنقل كلامهما ، واللَّهج به في كتبه ، واعتنى باستيفائه في كتابه

^{٨٠} محمد مغالسة، أبحاث في اللغة والنحو والقراءات، ط١ ، عمان : دار البشير . ١٣ .

^{٨١} صالح بلعيد، الإحاطة في النحو ، الجزائر :ديوان المطبوعات الجامعية ، ١٨ .

^{٨٢} خديجة الحديثي، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، ٢٠، سعيد الأفغاني، في أصول النحو، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ١٩٩٤م. ٤٧، ٤٨، رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ط٣ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م) ٩٨

الاقتراح في علم أصول النحو) ، واستوفاه فيما كتبه على أوائل (المغني)، ولهج به في غيرهما من كتبه^{٨٣}.

ويمكن التعليق على موقف النحاة الأوائل بما يلي:

- قولهم بأن الحديث روي من قبل الأعاجم: إن معظم النحاة من الأعاجم؟ ومع ذلك نجد منهم «من عُدَّ من المؤسسين لصرح النحو العربي ، فالعرق هنا لا ينبغي أن يكون معياراً، ثم الرواة كانوا يتحرّون ، ويضبطون الأحاديث حتى لا يزيدوا فيها أو ينقصوا منها أو يغيروا في كلماتها، وهي في ميدان التوثيق والضبط أقوى من الأشعار التي صنعت أو دستت، أو الأشعار الحائرة التي لا تعرف لها أبا ولا جدًا، على أن بعض العلماء كالإمام أبي حنيفة كانوا لا يجوزون نقل الحديث إلا باللفظ دون المعنى وبشروط الأمانة في الراوي ومما يروى عن الإمام أبي حنيفة: أنه قال: (لا ينبغي للرجل أن يحدث من الأحاديث إلا بما حفظه من يوم سمعه إلى يوم يحدث به ، وعلى الرغم من رأي المدافعين عن الاستشهاد بالحديث فإن ثغرة الرواية بالمعنى لا تؤهلها للوصول إلى مستوى الاستشهاد بالقرآن الكريم في باب التوثيق، ومجال القاعدة ، واستنباط الأصول اللغوية)^{٨٤}.

الفئة الثانية: المتوسطون :

وقف أصحاب هذا المذهب موقفاً وسطاً بين المانعين والمجيزين ، وعلى رأسهم الشاطبي الذي أجاز الاحتجاج بالحديث متى ما أعتنى بنقل ألفاظه^{٨٥}. فقد أنكر على النحاة استشهادهم بكلام أجلاف العرب وتركهم الاستشهاد بالأحاديث الصحيحة ، بقوله "لم نجد أحداً من التّحويين يستشهد بحديث رسول الله وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب ، وسفهائهم ، ويتركون الأحاديث الصّحيحة لأنّها تنقل بالمعنى وتختلف رواياتها وألفاظها"^{٨٦}.

ويقول محمد عيد عن هذا المذهب، أنه اتجه يفرق بين الأحاديث المروية التي يُعتقد أنها من لفظ الرسول -صلى الله عليه وسلم- والأحاديث التي يُحتمل تغيير ألفاظها ، والنوع الأول: يتمثل في الأحاديث القصيرة التي أعتنى بألفاظها . وهذا يُحتج به للثقة بنقل نصه عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-، أما النوع الثاني: يتمثل في الأحاديث

٨٣ فيض نشر الاشرار من طي روض الاقتراح ، تحقيق: محمود فجال ، ط٢ (دبي: دار البحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م) ٧٤.

٨٤ محمد عطوات، منزلة الاستشهاد بالقرآن الكريم بين مصادر الاستشهاد النحوية، مجلة التراث العربي، ع (٩٩-١٠٠) ٢٠٠٥م، السنة ٢٥، ص ٣١٢.

٨٥ خديجة الحديثي، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، ٢٥.

٨٦ الخزائنة ٦/١. صالح بلعيد، في أصول النحو ١٢٤، ١٢٣.

الطويلة التي قد يصعب حفظها والأحاديث ذات الألفاظ الغريبة التي يعسر حفظها بنصها، ولذلك لا يحتج به؛ لأنه منقول بالمعنى^(٨٧).

كذلك السيوطي وقف موقفا وسطا فيها هو في كتابه (الاقتراح) في فصل الاستدلال بكلام الرسول -صلى الله عليه وسلم: (وأما كلامه -صلى الله عليه وسلم- فيستدل به بما ثبت أنه قاله على اللفظ المروي وذلك نادر جدا، إنما يوجد في الأحاديث القصار على قلة أيضا، فإن غالب الأحاديث مروى بالمعنى، وقد تناولها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها، فرووها بما أدت إليه عباراتهم...^(٨٨). وهو بهذا يقف مع من يتشدد في الاستشهاد بالحديث وضيق الاستنباط منه، كما أنه أشار بمذهبه نحو الاستشهاد بالحديث عندما احتج بقول صاحب (ثمار الصناعة) الذي قال: (النحو علم يستنبط بالقياس والاستقراء من كتاب الله تعالى وكلام فصحاء العرب) قصره عليهما ولم يذكر الحديث^(٨٩). وهذا تأييدا منه لإقصاء الحديث عن التعقيد. كما أيد المانعين باستنكاره استشهاد ابن مالك على (أكلوني البراغيث)، بحديث الصحيحين (يتعاقبون فيكم) وتعجب من تسمية ابن مالك لها بلغة (يتعاقبون)^(٩٠). كما أيد المانعين فيما ذهبوا إليه أيضا في (همع الهوامع)^(٩١).

الفئة الثالثة: المجيزون:

وهي فئة أجازت الاستشهاد به مطلقا، ويمثل هذا المذهب ابن خروف، وابن مالك، ورضي الدين الاسترأبادي الذي زاد على ابن مالك واستشهد بكلام الصحابة وآل البيت -رضي الله عنهم- وتابعهم ابن هشام الأنصاري إلا أنه فاق ابن مالك بكثرة الاستشهاد بالحديث^(٩٢).

وقد استشهد بالحديث كبار أعلام اللغة والنحو، ومنهم سيبويه، والفراء، وأبو علي الفارسي والمبرد، وكان أول أكثر من الاستشهاد بالحديث الزمخشري في كتبه، ففي شرحه لفصيح ثعلب بلغ عدد الأحاديث والآثار التي استشهد بها (١٨١) حديثا، وهذا عدد كبير إذا قورن بما في بعض كتب اللغة^(٩٣). ثم ابن خروف^(٩٤)، ثم جاء ابن

٨٧ محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، القاهرة: عالم الكتب، ١١٠، ١١١.

٨٨ الاقتراح، في علم أصول النحو، قدمه وعلق عليه: أحمد الحمصي، محمد قاسم، جروس برس، ٤٠.

٨٩ الاقتراح، ٤١.

٩٠ الاقتراح، ٤٣.

٩١ الهمع، ١٠٥/١.

٩٢ سعيد الأفغاني، في أصول النحو، ٤٩.

٩٣ الزمخشري، شرح الفصيح، تج: إبراهيم عبد الله الغامدي، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤١٧هـ.

١٨٤/١.

٩٤ رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ط٦، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٩م، ٩٨.

هشام تلميذ أبي حيان، ونقيضه في مذهبه إزاء الاستشهاد بالحديث فقد أكثر من الاستشهاد به ما وجد لذلك سبيلا^(٩٥).

كما استنكر أبو حيان على ابن مالك كثرة استشاده بالحديث: "قد أكثر هذا المصنف من الاستدلال بما وقع في الأحاديث على إثبات القواعد الكلية في لسان العرب، وما رأيت أحدا من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره. على أن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب - كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين، والكسائي والفراء وعلي بن المبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين - لم يفعلوا ذلك، وتبعهم على ذلك المسلك المتأخرون من الفريقيين وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد وأهل الأندلس. وقد جرى الكلام في ذلك مع بعض المتأخرين الأذكياء فقال: إنما ترك العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن الكريم في إثبات القواعد الكلية. وإنما كان ذلك لأمرين: أحدهما: أن الرواة جَوَّزوا النقل بالمعنى، فتجد قصة واحدة قد جرت في زمانه صلى الله عليه وسلم، لم تنقل بتلك الألفاظ جميعها نحو ما روي من قوله: (زَوَّجْتُهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، مَلَكْتُهَا بِمَا مَعَكَ، خَذَهَا بِمَا مَعَكَ)... بل لا نجزم بأنه قال بعضها إذ يحتمل أنه قال لفظا مرادفا لهذه الألفاظ، الأمر الثاني: أنه وقع اللحن كثيرا في ما روي من الحديث لأن كثيرا من الرواة كانوا غير عرب^(٩٦). وأشار ابن الطيب الفاسي في شرحه للاقتراح عن الأسباب التي اعتمدها المجيزون وكانت ردا على المانعين حددها في الآتي^{٩٧}:

- إن قولهم بأن القدامى لم يستدلوا بالحديث ولا أثبتوا القواعد الكلية لا دليل فيه على أنهم يمنعون ذلك ولا يجوزونه.

- والقول بأن الأحاديث بأسرها ليس موثوقا بأنها من كلام النبي صلى الله عليه وسلم قول باطل، لأن المتواتر - وإن كان قليلا - مجزوم بأنه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك ما اشتمل عليه صحيحا البخاري ومسلم إلا قليلا، مجزوم بأنه من كلامه صلى الله عليه وسلم، وما صح أنه من كلامه لا شك في كونه في إثبات القواعد كالقرآن

أما القول بأن الرواة جَوَّزوا النقل بالمعنى فاحتمل نقل المعاني دون الألفاظ فالخلاف فيه مشهور، وكما أجازهم قوم منعه آخرون، بل ذهب إلى المنع كثير من المحدثين

^{٩٥} محمود فجال، الحديث النبوي في النحو العربي، ط٢، الرياض: أضواء السلف، ١٩٩٧م، ١٠٧.

^{٩٦} السيوطي الاقتراح، ٤٠، ٤١.

^{٩٧} ابن الطيب الفاسي، فيض نشر الانشراح من طي روض الاقتراح، تح" محمود فجال، ط٢، الإمارات العربية: دار البحوث،

٦٠-٥٤/١.

والفقهاء والأصوليين. وإن بعض الأئمة شدد في الرواية بالمعنى غاية التشديد ، فمنع تقديم كلمة على كلمة أخرى ، وحرف على آخر ، وذهب بعض الأئمة إلى أنه لا تجوز الرواية بالمعنى إلا لمن أحاط بجميع دقائق علم اللغة و إلا فلا يجوز له الرواية بالمعنى.

- أما القول بتعدد رواية القصة الواحدة ، فالرد عليه بأن ورود القصة الواحدة بالعبارات المختلفة صحيح موجود في كثير من الأحاديث ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعيد الكلام المرتين وأكثر لقصد البيان وإزالة الإبهام . وقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام كان من عادته تكرار الكلام ثلاث مرات ، وقد وضع البخاري باباً أسماه : باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم .

كما أن القائلين بجواز الرواية بالمعنى لم يطلقوا ذلك ، بل اشترطوا لها شروطاً منها: الأول: أن يكون الراوي عارفاً بما يُحيل المعنى أو ينقصه، عالماً بمواقع الألفاظ. الثاني: أن يقول الراوي بالمعنى بعد كمال مزويته: أو كما قال ، أو نحوه مما يدل على الشك

والصحابة وإن رويوا بالمعنى فإنه لا يضرنا في الاستدلال بكلامهم والاستشهاد به، لأنهم عرب فصحاء.

- وآخر دفاعاته أن صحيح البخاري مع أنه مشتمل على سبعة آلاف ومائتين وخمسة وسبعين حديثاً بالمكرر ، فإن التراكمب المخالفة لظاهر الإعراب فيه تكاد لا تبلغ أربعين ، ومع ذلك بسطها شراحه، وأزال النقاب عن وجوه إشكالها ابن مالك في ما كتبه على صحيح البخاري بحيث لم يعد فيها إشكال ولا غرابة. وعلى هذا تابع المحدثون القدماء ، وبقي الأمر قائماً على رافض الاحتجاج بالحديث و آخر قابل له.

ومن أمثلة استنشاء المجيزين نرى ابن مالك ، اتخذ قول الرسول صلى الله وسلم : " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل والنهار " شاهداً على لغة : " أكلوني البراغيث " ^{٩٨} ، وهي اللغة التي تلحق الفعل ضمير تثنية أو جمع ، إذ كان الفاعل مثنى أو مجموعاً . وقد عرفت هذه اللغة بذلك الاسم ؛ لأن سيبويه أول من مثل لها في كتابه ، فاختار هذا المثال ، فقال : " في قول من قال : أكلوني البراغيث " ^{٩٩} ، كما قال : " ومن قال : أكلوني البراغيث ، قلت على حد قوله : مررت برجل أعورين أبواه " ^{١٠٠} ، وإن كان قد ضرب لهذه الظاهرة أمثلة أخرى في كتابه ، فقال : " واعلم أن من العرب من يقول : ضربوني قومك ، وضرباني أخواك ، فشبها هذه بالتاء ، التي يظهرونها في :

^{٩٨} شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك . تج: محمد محيي الدين ، بيروت : المكتبة العصرية ، ١٩٩٧م . ١ /

٤٢٩

^{٩٩} سيبويه، الكتاب ، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل، د.ت، ١٩٩١ .

^{١٠٠} السابق ٤٠/٢

قالت فلانة ، فكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة ، كما جعلوا للمؤنث ، وهي قليلة " (١٠١) .

وقد حكيت هذه اللغة عن قبيلة " بلحارث بن كعب " ، كما حكاها البصريون عن قبيلة طيء، وبعض النحويين يحكونها عن قبيلة أزد شنوءة . والأصل في اللغات السامية ، أن يعامل الفعل فيها معاملته في لغة : " أكلوني البراغيث " (١٠٢) . وقد بقي من هذا الأصل في العربية ، أمثلة في اللهجات المختلفة ، كما توجد منه بعض الأمثلة ، في القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والأشعار . ومما جاء منه في القرآن الكريم ، قوله تعالى : { وأسرؤا النجوى الذين ظلموا } (١٠٣) وقوله تعالى : { ثم عموا وصموا كثير منهم } (١٠٤) . ومما جاء في الحديث الشريف ، قوله : " يعتزلن لحبص المصلى " وقوله : " ما اغبرتأ قدما عبد في سبيل الله " . ومما جاء في الشعر ، قول عمرو بن ملقظ الطائي الجاهلي :

رأين الغواني الشيب لآح بعارضي فأعرضن عني بالخدود النواضر^{١٠٥}
وشاهده : (رأين الغواني) حيث اتصل الفعل (رأين) بضمير رفع (نون النسوة) ، أسند إلى اسم ظاهر ، وهذا مخالف لما جاء به الجمهور .

كذلك ممن يستشهدون بالحديث بكثرة ، الزمخشري^{١٠٦} حتى كان يعتمد عليه أحيانا وحده دون أن يعضده بنص آخر ، وذلك عند حديثه على أفعل التفضيل حيث قال : (وقد اجتمع الوجهان في قوله -صلى الله عليه وسلم- : (ألا أخبركم لأحبكم إلي ، وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا...)^{١٠٧} .

وما تجدر الإشارة إليه ونحن في مجال الاستشهاد أن نشير باختصار إلى موقف مدرستي البصرة والكوفة من الاستشهاد بالحديث . إذ كان الرأي السائد لدى العلماء والباحثين أن أئمة البصريين والكوفيين لم يستشهدوا بالحديث ، ولكن الواقع يقول أن الاستشهاد به وقع بنسب متفاوتة بين النحاة ، وهي في حقيقة القول قليلة ، فقد سبق القول بأن الواضعين الأولين لعلم النحو استشهدوا بالحديث بقلة ، ولا يستشهدون إلا بالأحاديث المتواترة ، فمن البصريين نجد المبرد في كتابه (المقتضب

^{١٠١} السابق ٤١/٢ .

^{١٠٢} نصوص من اللغات السامية ٧ ، ٧٩ ، ١٢١ .

^{١٠٣} سورة الأنبياء ٣/٢١ .

^{١٠٤} سورة المائدة ٧١/٥ .

^{١٠٥} شرح ابن عقيل ، ٤٢٨ /١ .

^{١٠٦} السيوطي . بغية الوعاة ، ٢٨٠/٢ .

^{١٠٧} محمود الزمخشري ، المفصل ، الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٩٠٥ ، ٨٩ .

(، لم يستشهد سوى خمس مرات^{١٠٨}. لكنه لم يشر إلى الأحاديث إلا في موضع واحد^{١٠٩}. أي أن نواة المذهب البصري استشهدوا في مؤلفاتهم بالحديث بقلة . أما الكوفيون فموقفهم من الاستشهاد بالحديث لا يختلف كثير، وإذا نظرنا إلى أئمتهم ، نجد الكسائي لم يستشهد بالحديث بكثرة في مؤلفاته ، وهذا ما أثبتته عنه ابن هشام^{١١٠} ، ولكن الفراء قد اعتمد على الحديث كركن أساسي في الاستشهاد ، بل قد استشهد بأقوال الصحابة^{١١١} ، وقد استشهد بالحديث في توجيه بعض القراءات الشاذة^{١١٢}

موقف المحدثين:

وقف الباحثين المعاصرين إزاء مسألة الاستشهاد بالحديث في الدرس النحوي موقف المتمعن، وذلك لدقة المسألة، فكانت نظرهم أقرب إلى التوسط والاعتدال. ومن هؤلاء (محمد الخضر حسين) فقد كتب في هذا الموضوع ويعد من أوائل من اعتنى بهذه القضية . حيث استقصى المسألة في كتب كثيرة ، ليتتبع جوانبها ، إذ قال : (وهذا ما دعاني إلى أن أبحث هذه المسألة وبذلت جهدا في استقصاء ما كتبه فيها أهل العلم ، ثم استخلصت من اختلافهم رأيا)^{١١٣}.

أما تمام حسان فيرى أن الحديث متى صح سنده ونسبته ، ينبغي على النحاة الاستشهاد به ، حيث قال: (وأما الحديث فمع إجماع النحاة على أن النبي -صلى الله عليه وسلم - أفصح العرب ، وأن الحديث إذا صحت نسبته إليه ، وثبت أنه قاله بلفظه ، فلا مجال لدفعه في الاستشهاد ، ولا الاحتجاج به في التقييد)^{١١٤}.

ولقد كثرت الآراء حول هذه القضية، وكثر جدل القدماء والمحدثين حولها، ولنا أن نقول في ختامها: أن الضبط كان القصد منه الاحتراز من الفروق والخلاف بين الأحاديث المنقطع سندها، لكن هناك أحاديث لا ينبغي أن يدخل الشك في الاستشهاد بها في اللغة، ويمكن تحديدها بالآتي^{١١٥}:

- ما يروى بقصد الاستدلال على كمال فصاحته -صلى الله عليه وسلم - ، كقوله : (حَمِي الوطيس) ، وقوله : (مات حنط أنفه) ، وقوله : (الظلم ظلمات يوم القيامة) .

^{١٠٨}المقتضب ٣٤/١ ، ٢٣٣ ، ٢ / ٢١٧ ١٨٤ .

^{١٠٩}المقتضب ، ٢ / ٢١٧ ، ٢١٨ .

^{١١٠}مغني اللبيب ، ١ / ١١٩ .

^{١١١}أبو زكريا الفراء ، المنقوص والممدود ، بيروت : مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، ١٩٧٧ ، ١٦ .

^{١١٢}السابق ، ١ / ٤٧٠ .

^{١١٣}ينظر بحثه المعنون "الاستشهاد بالحديث في اللغة" مجلة اللغة العربية بالقاهرة ، بولاق : المطبعة الأميرية ، ١٩٣٦م ، ج ٣ / ١٩٧ - ٢١٠ .

^{١١٤}تمام حسان، الأصول ، المغرب : دار الثقافة ، ١٤٠١هـ ، ٩٠ .

^{١١٥}محمد الخضر حسين ، الاستشهاد بالحديث في اللغة ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،

- ما يروى من الأقوال التي كان يتعبدُ بها ، أو أمر بالتعبدُ بها ، كألفاظ القنوت والتحيات ، وكثير من الأذكار والأدعية التي كان يدعو بها في أوقات خاصة.
 - ما يروى شاهداً على أنه كان يخاطب كل قوم من العرب بلغتهم ، ومما هو ظاهر أن الرواة يقصدون في هذه الأنواع الثلاثة لرواية الحديث بلفظه.
 - الأحاديث التي وردت من طرق متعددة واتحدت ألفاظها .
 - الأحاديث التي دونها من نشأ في بيئة عربية لم ينتشر فيها فساد اللغة كمالك بن أنس ، وعبد الله بن جريج ، والإمام الشافعي.
 - ما عرف من حال رواة أنهم لا يُجيزون رواية الحديث بالمعنى مثل ابن سيرين ، والقاسم بن محمد ، ورجاء بن حيوة ، وعلي بن المدني .
- ومهما يكن فما نلاحظه أن النحاة قد تشددوا في الاستشهاد بالحديث ، رغبة منهم في الحفاظ على الفصحى ، وهذا أمر محمود لهم ، ولكن ألا يجدر أن تكون ضوابط وقوانين الأخذ من الحديث الشريف موازية للأخذ من كلام العرب ، أي تجرى عليه مقاييس اللغة ، ويؤخذ منه ما وافق ، ويترك ما خالف، دون أن يستبعده لخوفهم من اللحن والعجمة ، أو تأثره بالفرق والطوائف التي وإن وردت فهي واقعة في زمن الاستشهاد الذي قرره النحاة . لذلك يمكننا القول ، إن ظهور المبتدعة ، وكثرة الوضع بالحديث ، ليس مبرراً لترك الاستشهاد به. وإن انقسام النحاة حول الاستشهاد بالحديث إلى ثلاث فئات ، قد يكون أثراً مذهبياً أو طائفيّاً. ورواية الحديث بالمعنى لا تعني بعده عن الفصاحة ، فالتقعيد النحوي لم يأخذ نصاً بعد زمن الاستشهاد. ودخول الأعاجم في الإسلام وحرصهم على حفظ النصوص الدينية، يجب أن ينظر إليه نظرة موضوعية ، فبعض أهل النحو والقراءات ليسوا عرباً.

الأحاديث في مؤلفات القدماء :

استشهد علماء اللغة بالحديث النبوي في مسائل متفرقة، ومنهم أبو عمر بن العلاء ، والخليل والكسائي ...، ولا يبعد موقف النحاة عن اللغويين في الاستشهاد بالحديث ، وسنشير على سبيل المثال إلى طائفة من الأحاديث وردت في مصنفات اللغويين لبيان معاني الألفاظ ، والاستدلال على فصاحتها، وصحة استعمالها ، وأول المصادر هو :

معجم العين للخليل : استشهد الخليل بقول الرسول -صلى الله عليه وسلم - (إياكم وخضراء الدمن) ، وهي المرأة الحسناء في المنبت السوء ، على مادة (خضر)^{١١٦}

الصحاح للجوهري : استشهد الجوهري بقول الرسول -صلى الله عليه وسلم - (أنا العاقب) يعني آخر الأنبياء ، على مادة (عقب)^{١١٧} : عاقبة كل شيء: آخره .

أما النحاة فسأشير إلى اثنين من أبرزهم ، ونبدأ بسيبويه ، وبعده ابن جني :

^{١١٦} معجم العين ، تح: مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي ، ط ١ ، إيران : دار الهجرة ، ١٤٠٥ هـ ، ١٧٥/٤

^{١١٧} الصحاح ، تح: أحمد عبد الغفور عطار ، مصر : دار الكتاب العربي .

سيبويه: استشهد سيبويه بالحديث في كتابه إلا أنه لم يرفعه إلى النبي- صلى الله عليه وسلم-، بل استشهد به على أنه من كلام العرب^{١١٨}. وقد فسر ابن الضائع عدم استشهد سيبويه بالحديث النبوي أنه قد رُوي بالمعنى، فقال: "تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عندي في ترك الأئمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث، واعتمدوا في ذلك على القرآن، وصريح النقل عن العرب"^(١١٩).

كما ذهب أبو حيان الأندلسي إلي عدم استشهد سيبويه بالحديث النبوي، وذلك في سياق إنكاره مذهب ابن مالك الذي أجاز الاستشهاد بالحديث قائلاً: "على أن الواضعين الأولين لعلم النحو، المستقرئين للأحكام من لسان العرب... وسيبويه من أئمة البصريين،... لم يفعلوا ذلك"^(١٢٠).

كما اهتم الباحثون بهذه المسألة ومنهم الدكتورة خديجة الحديثي التي أشارت إلى قلة استشهد سيبويه بالحديث النبوي بقولها "أما سيبويه فقد أورد عدة أحاديث في أثناء كلامه على بعض الموضوعات النحوية، لتبيين بعض الأوجه الإعرابية فيها لكن لم يوضح أنها من الأحاديث إنما أدرجها مع أمثلة الكتاب"^(١٢١) فيقول: "ومثل ذلك"^(١٢٢) أو "ومن العرب من يرفع فيقول"^(١٢٣).

ويرى محمد عيد أن عدم استشهد سيبويه بالحديث في كتابه قد استن طريقة وتبعه من جاء بعده: "فكتاب سيبويه مثلاً لا يوجد فيه غير حديث واحد فقط ورد على سبيل التوكيد لغيره من النصوص لا الاحتجاج". ثم أضاف "وبالمثل توجد هذه الظاهرة في مؤلفات النحو التي اتبعت سيبويه وطريقته، فكأنما كان المسلك الأول الذي سلكه شيخ النحاة قانوناً مطرداً فنفذه من بعده من غير مناقشة ولا نظر"^(١٢٤).

وقد ذكر عبد السلام هارون محقق الكتاب أن الأحاديث الواردة في كتاب سيبويه سبعة أحاديث^{١٢٥}. بلغت عند الدكتور علي النجدي خمسة أحاديث^{١٢٦}.

١١٨ حسن الشاعر، النحاة والحديث النبوي (دم، وزارة الثقافة والشباب، ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م) ٩٣، محمود فجّال، الحديث النبوي في النحو العربي، (ابها: النادي الأدبي) ١٠٩.

١١٩ السيوطي، الاقتراح، ٤٣.

١٢٠ المرجع السابق ٤٠-٤١.

١٢١ خديجة الحديثي، موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث النبوي. و الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، ٦٩.

١٢٢ سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ج ١ (بيروت: دار الجيل، د.ت) ج ١، ٧٤، و ج ٢، ٣٢.

١٢٣ الكتاب، ج ١، ٣٢٧.

١٢٤ محمد عيد، الرواية والاستشهاد باللغة دراسة لقضايا الرواية والاستشهاد في ضوء علو اللغة الحديث (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٦م) ١٣٠.

١٢٥ الكتاب، ج ٥، ٢٧.

١٢٦ علي النجدي ناصف، سيبويه إمام النحاة ط ٢ (القاهرة: عالم الكتب) ٢١٠.

ومن الأحاديث التي ضمها الكتاب ، ما ورد في عمل اسم التفضيل و رفعها اسما بارزا،

قوله -صلى الله عليه وسلم: (ما من أيام أحب إلى الله عز وجل فيها الصومُ منه في عشر ذي الحجة) . قال سيبويه في باب ما يكون من الأسماء صفة مفردا: (...) ومثل ذلك: ما من أيام أحب إلى الله عز وجل فيها الصومُ منه في عشر ذي الحجة. وإن شئت قلت: ما رأيت أحداً أحسن في عينه الكحل منه، وما رأيت رجلاً أبغض إليه الشر منه، وما من أيام أحب إلى الله فيها الصومُ من عشر ذي الحجة؛ فإنما المعنى الأول، إلا أن الهاء هنا الاسم الأول، ولا تخبر أنك فضلت الكحل عليه ولا أنك فضلت الصوم على الأيام، ولكنك فضلت بعض الأيام على بعض (...)^{١٢٧} . و موضع الشاهد (أحب) يستدل بها على جواز رفع الاسم الظاهر .

ابن جني: استشهد ابن جني بالحديث ، فكان كثيرا ما يستشهد به ،إما في وسائل اللغة أو على توجيه قراءة^{١٢٨} ،أو في التصريف والنحو^{١٢٩} ، ومن ذلك استشهاده على كون الفاء للاتباع في قول الله تعالى: (فضرِب بينهم بسور له باب)^{١٣٠} . وقوله تعالى: (أفكَلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم)^{١٣١} ، وفي قولهم : (أفأ للهِ لتصنعن كذا وكذا) ، خلافاً للأخفش . يقول ابن جني في ذلك: (الوجه هنا غير زائدة ، وأن تكون للاتباع ، لتعلق ما قبلها بما بعدها، وعلى هذا قول الرسول -صلى الله عليه وسلم - وقد قيل لما رئي وقد اجهد نفسه بالعبادة ، يارسول الله أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فأجابهم (أفلا أكون عبدا شكورا؟)^{١٣٢} .

الخاتمة:

إن دراسة الأحاديث النبوية من أي الأوجه كانت، دراسة مباركة ممتعة مفيدة ؛ فالقول النبوي قول مؤيد من رب العزة والجلال ، حيث قال تعالى: ((وما ينطق عن الهوي))^{١٣٣} ، و توفرت له عليه الصلاة والسلام -كثير من الأسباب التي أثرت في منطقه وكلامه . فتضمنت أحاديثه -عليه الصلاة والسلام - الفصاحة اللغوية و مختلف الألوان البلاغية، وجمعت سمو اللفظ واللغة، مما جعلها تتربع على قمة البيان

^{١٢٧} الكتاب، ٢/ ٣٢

^{١٢٨} ابن جني ، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، تح : علي النجدي، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح اسماعيل ، القاهرة: وزارة الأوقاف ، ١٩٩٤م ، ١/ ٢٩٦ . ٣٦٧/٢ .

^{١٢٩} المحتسب ، ١/ ٨٨، ٢/ ٣٣٢ . ٢/ ٣٣ ، ٢٠٤ .

^{١٣٠} الحديد ١٣ .

^{١٣١} البقرة ٨٧ .

^{١٣٢} ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، تح : حسن هندواي ، ط٢، دمشق : دار العلم ، ١٩٩٣م ، ٢٧٠، ٢٦٩ .

^{١٣٣} سورة النجم ، آية : ٣ .

البشري . فتبارى أهل العلم واللغة والفن و البلاغة على وصفها والاقتباس منها ، فأغنت الدرس اللغوي بالألفاظ والتراكيب التي أخذت بالألباب وفتقت الأفهام بمعان لم تكن معروفة لدى العرب من قبل. وبالرغم من ذلك الثراء اللغوي، لم تتخذ الأحاديث النبوية منبعاً للاستشهاد النحوي، فواضعو النحو الأوائل لم يعتمدوا على الاستشهاد بالأحاديث إلا ما تأكدوا من تواتره، وتشددوا في ذلك أي تشدد، ولم يصرحوا بمذهبهم نحوه ، لذا لم يهتم بالاستشهاد به المتأخرون. فالحديث لم ينل مكانته في التقعيد النحوي، خشية الوضع والضعف والعجمة، في حين أن كلام العرب المستشهد به لم يخل من الشواهد الشاذة، والقليلة والنادرة، وأقوال الأحاد، وكثرفيه الوضع والضعف، إذن فالخلل وارد في شواهد اللغة، ليس حصراً على الحديث فقط. لذا فاعتماد قبول الاستشهاد بالحديث أو رده لا بد أن يبنى على تخريجه ودراسة أسانيده واستقراء لغته وتتبع ألفاظه.

المصادر المراجع :

- الأفغاني، سعيد ، في أصول النحو، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ١٩٩٤م.
- ابن الأثير (١٩٧٩م)، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تح : طاهر الزاوي ، محمود الطناحي ، بيروت : المكتبة العلمية .
- ابن أحمد، الخليل ، معجم العين ، تح: مهدي المخزومي ،إبراهيم السامرائي ، ط١ ، إيران : دار الهجرة ، ١٤٠٥هـ .
- بلعيد ، صالح، الإحاطة في النحو ، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- البخاري ، محمد بن إسماعيل (٢٠٠١م) صحيح البخاري ، ط١ ، الرياض : فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية .
- البوطي ، محمد سعيد (٢٠١١م) في الحديث الشريف والبلاغة النبوية ، دمشق : دار الفكر
- بيومي ، محمد رجب (١٩٨٧م)، البيان النبوي ، ط ١ ، دار الوفاء للنشر .
- البكري ، أبو عبيد ، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، تح : قصي الحسين ، بيروت : مكتبة الهلال .
- أبو تمام ، ديوان أبي تمام، شرح وضبط : غيمان البقاعي، بيروت : مؤسسة الأعلمي ، للمطبوعات.
- الجاحظ (١٩٩٨م) البيان والتبيين : تح : عبد السلام هارون ، ط ٧ ، القاهرة : مكتبة الخانجي .
- الجعلي ، إبراهيم (٢٠٠٤م) أضواء على البلاغة النبوية، الرياض: مكتب الرشد للنشر .
- ابن دريد (١٩٦٣م)، المجتبى ، تح : عبد المجيد خان ، الهند .
- الجوهري ، الصحاح ، تح : أحمد عبد الغفور عطار ، مصر : دار الكتاب العربي .
- ابن الجوزي ، (١٩٨٥) غريب الحديث ، تح : عبد المعطي قلنجي ، بيروت : دار الكتب العلمية.
- الحلي ، صفي الدين ، ديوان صفي الدين الحلي ، بيروت : دار صادر .
- ابن جني (١٩٩٤م) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح : علي النجدي ، عبد الحلیم النجار ، عبد الفتاح اسماعيل ، القاهرة: وزارة الأوقاف .
- = (١٩٩٣م) سر صناعة الإعراب ، تح : حسن هنداوي ، ط٢ ، دمشق : دار العلم.
- الحديثي (١٩٨١م) خديجة ، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، بيروت: دار الطليعة.
- = (١٩٧٤م) الشاهد وأصول النحو في كتاب سيويوه، الكويت: مطبوعات جامعة الكويت.

- حسان، تمام، الأصول ، المغرب : دار الثقافة ، ١٤٠١هـ .
- حسين ، محمد الخضر ، دراسات في العربية وتاريخها ، مكتبة دار الفتح
- الخطيب ، محمد (١٩٨١م) أصول الحديث ، علومه ومصطلحه ، ط٤ ، بيروت : دار الفكر للطباعة .
- الرافعي ، (١٩٧٣م) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ط ٩ ، بيروت : دار الكتاب العربي .
- الربيعي، حامد صالح ، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، مكة المكرمة: مركز بحوث اللغة العربية ١٩٩٦ .
- الرضي ، الشريف ، المجازات النبوية ، تح : طه الزيتي ، قم : منشورات مكتبة بصيرتي.
- الزمخشري ، الفائق في غريب الحديث ، تح : علي البجاوي ، محمد إبراهيم ، ط٢ ، بيروت : دار المعرفة .
- = (١٤١٧هـ) شرح الفصيح ، تح : إبراهيم عبد الله الغامدي ، مكة المكرمة : جامعة أم القرى .
- = (١٩٠٥) المفصل ، الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية .
- السامرائي ، محمود ، تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية ، الكتاب الإسلامي .
- سيبويه ، الكتاب ، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل، د.ت.
- السيوطي (١٩٨٨م) الإقتراح في علم أصول النحو، قدمه وعلق عليه: أحمد الحمصي، محمد قاسم، جروس برس.
- الشاعر ، حسن (١٩٨٠م) ، النهاة والحديث النبوي ، دم، وزارة الثقافة والشباب.
- ضيف ، شوقي (١٩٦٣م) تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، ط١ ، دار المعارف .
- الطرابلسي ، إبراهيم (١٣١٢هـ) فرائد اللال في مجمع الأمثال ، بيروت .
- عبد التواب ، رمضان، (١٩٩٩م) فصول في فقه العربية ، ط٦ ، القاهرة : مكتبة الخانجي .
- عز الدين ، كمال (١٩٨٤م) ، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ط١ ، دار اقرأ .
- العقاد ، عباس (١٠١٣م) عبقرية محمد - عليه الصلاة والسلام ، بيروت : المكتبة العصرية .
- العسكري ، أبو هلال (١٤١٩هـ) ، جمهرة الأمثال ، تعليق : محمد أبو الفضل ، عبد المجيد قطامش ، ط ٢ ، بيروت : دار الجيل .
- عيد، محمد (١٩٧٦م) الرواية والاستشهاد باللغة دراسة لقضايا الرواية والاستشهاد في ضوء علم اللغة الحديث ، القاهرة: عالم الكتب.

- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، مقاييس اللغة، تح: محمد عوض، فاطمة أصلان، بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠١.
- فجال، محمود (١٩٩٧م)، الحديث النبوي في النحو العربي، ط٢، الرياض: أضواء السلف.
- الفزويني، جلال الدين الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الكرزاق، محمد، الفصاحة في العربية المفاهيم والأصول، د.م: مؤسسة الانتشار، ٢٠٠٩.
- مغالسة، محمود، أبحاث في اللغة والنحو والقراءات، ط١، عمان: دار البشير.
- الميداني (١٣٧٤هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق وتعليق: محمد محيي الدين، بيروت: دار المعرفة
- ناصف، علي النجدي، سبويه إمام النحاة، ط٢، القاهرة: عالم الكتب.
- النيسابوري، أبو عبد الله (١٩٩٨م)، المستدرک علی الصحیحین، دار المعرفة .
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج (١٩٥٥م) صحيح مسلم، تح: محمد عبد الباقي، ط١، دار إحياء الكتب العربية.
- الهيثمي، نور الدين (١٣٥٢هـ)، مجمع الزوائد و منبع الفوائد، تحرير: العراقي وابن حجر، القاهرة: مكتبة القدس .
- اليوسي، الحسن (٢٠٠٣م)، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تح: قصي الحسين، بيروت: مكتبة الهلال .